في سبيل سلام مفقود!

المقاومة المتعدّدة الأسباب والأهداف والغايات البعيدة، قد تتّخذ أشكالاً ومناحيَ متنوعة بحسب الأزمنة والأمكنة وحتى الأفراد والجماعات، ولكنها تبقى عابرة مؤقتة ولها شروط وحدود.

ليست المقاومة بالضرورة عسكرية، والأهم منها طبعاً استتباب لا السلم فقط وإنما السلام الذي هو داخلي والحرية المسؤولة.

كيف نقود منذ الساعة معركة السلام والحرية؟ السلام لا الحرب اسم من أسماء الله. فكيف نراه يتحقق منذ الآن في وطن لا تصحّ فيه المقاييس بل إن كينونته أو كيانيته في الميزان. كيف لنا أن نضع أسس عقد جماعي يحدّد الانطلاقة الحقة شطرَ دولة المؤسسات؟

الأساس ليس القانون أو الزعامات التقليدية والمستجدّة أو المساومات والصفقات. ثمة حاجة ماسة، في صميم شعبنا، إلى شحنة روحية تتدفّق في النفوس والألباب وتترسّخ إيماناً وصدقاً وعطاء.

الحرية تنطلق من تاريخ ما مجيد لدينا وحولنا، شرط أن تسهم في إطار من المسؤولية المنزّهة، في توصيف الحاضر استشرافاً للمستقبل.

وهذه الثورة البيضاء التي نصبو إليها منذ أمد بعيد، تستلزم احترام الذات أولاً ونكران الذات والتطلع إلى الغيرية في إطار الوطن وحمل صليب الوحدة ولو ثقيلاً ريثما تأتي القيامة بعيداً من الارتهانات الخارجية والاستزلامات الداخلية. والمطلوب هنا تجاوز الانتماءات الطائفية والمذهبية والعشائرية الانعزالية المنحى والاتجاه شطرَ رؤية عضوية للوطن.

الواقع الحالي مجتزأ الرؤى، خاص المصالح والمرتجى وطن واحد يتجاوز الخاص في سبيل العام، لا أحادية رؤى شخصية أو فئوية بل لبنان واحد منتصر، يكون موطناً للجمال الذي يُطهّر قباحاتنا الداخلية أولاً فيمسي نظاماً تربوياً واجتماعياً وسياسياً مُسخّراً لجمال كل ذات وكل فئة في أجمل تجلياتها.

تلاقينا، إنْ تُركنا لأنفسنا وانكفأ المتآمرون القدامى والجدد، تحتّمه آلامنا وإخفاقاتنا حتى الساعة. نعوّل هنا على وزارات الثقافة والتربية والبيئة والإعلام (حتى إشعار آخر!) لبناء فكر وطني منعتق من أسباب الدهماوية والمخاتلة والخرافية التي ما زالت تتملّق الشعب لتنويمه ثم تهييجه... وهكذا... إن إنشاء كتاباً موحّداً للتاريخ الوطني من الأهمية بمكان في هذا السبيل.

طوبى لأنقياء القلوب لا العقول! النقاء والبساطة مدخلنا إلى المجد الحقيقي الذي يقتضي لنا معايشة حقّة للعلم وللأخلاق على السواء، بعيداً من السمسرة السياسية والطائفية.

نبحث من أجل سلام مرتجى، عن نجم في سماء الوطنية، وبدر كامل في الحقوق والآداب والأخلاق، وشمس تنير غياهب البؤس في دنيا العجزة والمرضى ومنهم مَن قد يستغرب سقمه!

نبحث عن سليل أرومة عريقة أولاً بالتقوى والفضل...

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه